

المعرفة والمجتمع

خلقت المعرفة لتكون ملكاً للإنسانية، وليس حكراً على الأقلية

لما كنت أعتقد أن المعرفة خُلقت لتكون ملكاً لأغلبية البشر، وليس حكراً على فئات قليلة منهم، فإنني أرى أن من واجب كل إنسان معرفي أن يشارك الغير من الناس فيما لديه من معارف وعلوم ومعلومات تهم البشرية، ومن شأنها أن تسهم في تقدم الإنسان ورفع مستوى حياة كافة الناس أينما كانوا. لذلك أعتقد أن من يحتكر معرفة علمية أو فكرة ثقافية أو حقيقة تاريخية تخدم البشرية وقضايا الفقراء والضعفاء والبيئة، يكون مقصراً في واجباته تجاه إنسانيته. فكل معرفة مهما كان نوعها ترتبط بالإنسان وحياته ومستقبله، ما يجعل بإمكانها أن تعزز فرص الرخاء والوفاق والسلام العالمي. وهذا يعني أن المعرفة المخزونة لدى أشخاص دون غيرهم هي معرفة ضائعة إلى حد كبير أو صغير، يتحكم فيها أشخاص أنانيون لا يكثرثون لما يعانيه العالم من حولهم من فقر وبؤس وتخلف وصراع. وتتبع مسئولية المعرفي تجاه البشرية من كون المعرفة بمختلف فروعها قد تطورت وتراكت عبر كافة العصور، في كافة أرجاء العالم، نتيجة لجهود ومواهب وتضحيات ملايين البشر، ما يجعل احتكارها حرماناً لأصحابها من فوائدها ومزاياها.

حين تكون المعرفة في متناول يد جميع الناس تصيح أداة اجتماعية وثقافية، وربما سياسية واقتصادية أيضاً، وذات رسالة إنسانية تسهم في تقارب وجهات النظر بين الشعوب المختلفة ذات الثقافات والمصالح المتباينة، وعمل على تخفيف حدة النزاع والصراع الذي يطغى على العالم. وهذا يمكن المعرفة من القيام بدور ايجابي في حياة معظم الناس، ما يجعل الحياة أكثر متعة وأريحية، والاقتصاد أكثر إنتاجية، ومستويات المعيشة أكثر ارتفاعاً، والحرية أكثر انتشاراً، والعالم أكثر عدلاً وسلاماً وانفتاحاً. حين تكون المعرفة ملكاً للأكثرية فإنها تخلق لدى عامة الناس إحساساً قوياً بأنهم جنس واحد، يعيشون في مكان واحد، ويواجهون مصيراً بيئياً وأمنياً وسياسياً مشتركاً. وهذا من شأنه أن يُعمق الشعور لديهم بوجود العمل معاً للحفاظ على وحدتهم وكيونتهم، ومواجهة تحديات عصرهم كأفراد عائلة واحدة.

في المقابل، حين تكون المعرفة حكراً على فئة أو فئات قليلة من الناس، فإنها تصيح سلاحاً فتاكاً في يد القوي والثري منهم... سلاح يُستخدم في استغلال الفقراء والمحتاجين، واستعباد الضعفاء والمحرومين والسيطرة عليهم، وحرمان أغلبية الناس من بعض حقوقهم المشروعة. من ناحية ثانية، تتسبب المعرفة التي تتحكم فيها فئات قليلة من الأثرياء والأقوياء عادة في تعميق الفوارق الطبقيّة والفجوات الاجتماعية

والتباينات الثقافية بين الناس على كافة المستويات المحلية والوطنية والعالمية، ما يجعل الحياة أقل متعة وحرية وإنتاجية وسلاماً وعدالة اجتماعية. وهذا من شأنه أن يضعف إحساس الناس بالوحدة كجنس واحد، يعيش في مكان واحد، ويواجه تحديات مشتركة، ويستبدله بشعور يقوم على التفرقة العنصرية والنزاع، والخوف من الآخر، والتخوف من المستقبل وما قد يحمله من مفاجآت.

د. محمد ربيع www.yazour.com